وما ذلك إلا لبعد البشر عن الوازع الديني الذي يرتبط بالعقل الصحيح مباشرة . بينما نرى ان الوازع المدني يفرض سيطرته من طريق القوة التي تتلاشى تجاه خضوع النفس وايمان العقل . لذلك لم يوفق على الاكثر الى أبادة الاجرام بصورة مستمرة على سطح الكرة الارضية .

كان الضعيف لقمة سائغة في فم القوي ، والوازع الديني حرم على الانسان دم أخيه وماله وعرضه ، فسار الضعيف الى جنب القوي دون ان يشعر الثاني بتفوق على الاول ولا بامتيازات تجعل له التقدم عليه إلا بالتقوى . فالتقوى هي التي تحمله على احترام الضعيف وصيانة حقوقه كما تحمله على الخضوع لما شرعته تلك القوى الخفية فتراه يخف لاداء واجبه تجاهها بدافع النفس لا القوة واظهر مظهر للطاعة — الصيام —

وأول وجهة نظر الشارع من تشريع الصيام هو أن يعتبر الميسرون بالجوع والظمأ بما يعانيه البائس المعدم ليرقوا ويعطفوا عليه باخراج ما خصه الله به من الحقوق من مالهم ، لأن الثري لا يعرف ما الحاجة التي تضطر الفقير الى النهب والسلب ولا يدرك ما لفاقة التي تدفع بصاحبها الى الاجرام . غير ان الوازع الديني يحول بينه وبين ذلك ، وبالصيام يدرك ما الفاقة ويعرف ما الحاجة ، واذ ذاك نرى نفسه بين عاملين قويين ، عامل حب المال فتشح به نفسه ، وعامل التقوى فيدفعه الى العطف على البائسين ، واي العامل أقوى يندفع بتياره ان خيراً فخير ، وان شراً فشر .

وقد كان الوازع الديني بالامس غيره اليوم فقد ضعف حتى أصبح الاجرام عادة الى البشر فذهب عمل الخير وضاعت وجوه البر والاحسان ، حتى ان الفقير ليرجو صوب الغمام في الصيف ولا يحلم بالرجاء في الميسرين ، والذي أوجب ذلك بعد البشر عن دين الفضيلة وتقصير القادة عن التوجيه . ولما بعدوا ذهب عنهم وازع الدين واتجهت نفوسهم نحو المادة وانفقوا أوقاتهم في جمع المال لم يبغوا عنه بديلا ولا عنه تحويلا ، فشحت نفوسهم به وحرصوا عليه حرص قاطع الصحراء على ما معه من قليل الماء ، فاذا سمحوا صادعاً باسم الفضيلة بغضت نفوسهم وولوا برؤوسهم شطر المال لانه أصبح هو معبودهم دون الحق والفضيلة .

ولو أردنا أن نحاكم الثري اللئيم على جمعه المال من غير حله الى الحقيقة ونسأله ما لفائدة من المال اذا لم يكافح به الجهل والمرض والامية ويبذل في وجوه البر والاحسان لولى وعلى واستكبر استكباراً لم ير لغيره حرمه ولم يعترف لسواه بشرف ، ولضعف نفسه جهل ان المال واسطة في الحياة لا غاية وان الشرف في سمو النفس . فكم بائس معدم يترفع ان يعد عداد من يرى حوله وطوله المادة وشرفه منوط بالمال ، وكم يكون الفقير غنياً بغنى نفسه وقناعته ، وكم يكون الثري فقيراً لجشعه وحرصه وشحه وهو يرى لنفسه من الشرف ما لا يراه لسواه وسر هذا كله عدم تمكن الوازع الديني في هذا واستقراره في نفس ذاك ؟

على الخاقاني

من وحيات

للاستاذ الخطيب الشيخ سلمان الانباري

اذا ايسرت كل فتى يراني ... صديقاً صادقاً واخا حميما
وان اعسرت انكرني ابن أمي ... وأنبني وسماني اتيما

* * *

تسلح ما استطعت على الزمان ... بصبرك لا بمصقول اليماني
وكن شهماً تنل مجداً وعزاً ... ومقداماً تكن عالي المكان

* * *

تخير صالحاً فطناً أديباً ... ولا تصحب اخا شغب كذوبا
وكن عوناً لمن يبغي معيناً ... على هذا الزمان تكن أريباً

* * *

صديقك من يشاطرك المصابا ... وان تدعوه للجلا أجابا
ومن خان الصديق فلا صديق ... يعد له ومن رفع السحابا